

The Conjunction “bal” between Sentences: Textual Analysis between Grammarians and Commentators

Mo'ath Haza' Alzu'bi
Faculty of Arts
The University of Jordan
moathzoabe@yahoo.com

Ismail Suliman Almazaidah
Faculty of Arts
The University of Jordan
i.mazaydah@ju.edu.jo

Sateh Abdullah Thunebat
Faculty of Arts
The University of Jordan
satehthunebat@yahoo.com

Received : 12/08/2022

Accepted :07/11/2022

Abstract:

This research studies the meanings of the conjunction "bal" in specific contexts. Some grammarians have mentioned that when “bal” connects two sentences, it gives one of two meanings; “Ibtal” (refute) or “Intiqal” (transition). In “Ibtal”, “bal” functions as a coordinator connecting two sentences, while in “Intiqal” it expresses the commencement of a new meaning canceling what precedes it. The commentators, having a different opinion, decide its meaning according to the context in which “bal” is mentioned. The majority of them consider it a coordinator while some followed the grammarians and use it to begin a new meaning negating what’s before it. This research discusses the opinions of grammarians and commentators on the selected contexts in terms of the theories that state that “bal” is a coordinator and it connects the two sentences without canceling any part.

Keywords: Coordinator, Grammarians, Commentators, Text.

بل" العاطفة بين الجمل"

قراءة نصية بين النحاة والمفسرين

ساطع عبد الله ذنبيات
كلية الآداب
الجامعة الأردنية
satehthunebat@yahoo.com

إسماعيل سليمان المزايذة
كلية الآداب
الجامعة الأردنية
zaidatari@hotmail.com

معاذ هزاع الزعبي
كلية الآداب
الجامعة الأردنية
moathzoabe@yahoo.com

القبول : 2022/11/07

الاستلام : 2022/08/12

المخلص:

يدرس هذا البحث معنى حرف العطف "بل" بين الجمل في سياقات محدّدة؛ فقد ذكر بعض النحاة أن "بل" العاطفة بين الجمل تعيد معنيين: الإبطال أو الانتقال، ففي الإبطال تكون عاطفة ويكون ما بعدها متّصلاً بما قبلها. وفي الانتقال تكون ابتدائية وتؤسّس لمعنى جديد بعدها مستقلّ عن سابقه، أمّا المفسّرون فينقسمون إلى غير فريق حسب السياق الواردة فيه "بل"، فالأكثر جعلها تعيد الإبطال، ما يعني اتّصال ما بعدها بما قبلها، بوصفها عاطفة، ومنهم من تابع النحاة، وقطع بها ما بعدها عمّا قبلها. وينظر هذا البحث في السياقات المختارة موازناً بين النحاة والمفسرين، لا على سبيل الانتصار لأحدهما على الآخر، بل ليعرضها على نظريّات نحو النصّ التي تنظر إلى النصّ بوصفه كلاً لا تجزئ فيه، مبرّزاً جملة مقدّرة قبل "بل" تكون معطوفة على ما بعد "بل"، وتشّي بأن النصّ متّصل لا انقطاع فيه.

الكلمات المفتاحية: العطف، النحاة، المفسرون، النصّ، بل العاطفة.

المقدمة:

فجأة، وننتقل إلى معنى جديد، سيّما وأنّ المعنى الأوّل لم تتّضح دلالاته لدى المتلقّي؟ وكيف لو عرفنا أنّ هذا النصّ هو القرآن الكريم؟ أليس من الأجدى، والدراسات النصّية في غاية تطوّرها، أن تكون جمل النصّ متّصلة في سبيل الوصول إلى المعنى العام والرسالة الكبرى التي تحملها؟ وكيف للمعنى أن ينقطع في أوّل النصّ؟ ولماذا ندخل في تأويلات بعيدة يابها النصّ نفسه؟

فما الدلالة في قوله تعالى: ﴿قُلْ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ (1) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (2)﴾ على اعتبار أنّ "بل" تقطع المعنى وتؤسّس لمعنى جديد؟ أليس من الأولى أن يكون النصّ، وهو في بدايته، متّصلاً؟

فالهدف، إذًا، في هذا البحث، أن ينظر في أقوال النحاة في "بل" العاطفة بين الجمل في نماذج مختارة من القرآن، في محاولة للتوفيق بين من ذكروا أن "بل" تقطع ما بعدها عمّا قبلها، وبين من تقصد إليه لسانيّات النصّ الحديثة من وحدة النصّ ونسبجه المترابط. على أنّ البحث لن يغفل أقوال المفسّرين في الآيات المختارة؛ لأنّ عند بعضهم إجابات شافية حول سؤال البحث.

العطف عنصر اتّساق وانسجام:

نعلم أنّ حروف العطف، بصورة عامّة، تؤدّي وظيفة الجمع والضمّ، فالمقرّر في الدرس النحويّ أنّ العامل في المعطوف عليه هو

يفترض البحث النصّي وجود جملة من العلاقات داخل النصّ، أبعد من العلاقات الشكلية القائمة على الروابط الظاهرة، مثل: حروف العطف والإحالات وغيرها. بل ويفترض وجود علاقات معنوية داخل النصّ تربط جملته ببعضها على سبيل الانسجام جاعلة النصّ نسيجاً مترابطاً. والناظر في النصّ يستطيع تبين هذه الروابط التي تساهم في تقوية أواصر النصّ، وله أن يحكم على نصّية النصّ بعد أن ينظر في صفة تماسكه وقوة ارتباطه.

والنصّ، أي نصّ، فيه هذان النوعان من الروابط؛ الشكلية والمعنوية، ويستطيع الناظر فيه أن يدرّكهما بعد تأمل، على أنّ البعد الشكليّ أيسر وأقرب؛ فهو في متناول القارئ، لا يبذل جهداً في الوصول إليه. ومن العناصر الشكلية التي تربط بين جمل النصّ وتؤدّي إلى تماسكها، الإحالات والتكرير والتضام، ولعلّ من أبرزها ربطاً داخل النصّ حروف العطف، فهي أدوات رابطة بين ما قبلها وما بعدها داخل النصّ، فتضمّ الثاني إلى الأوّل لتجعلهما متّصلين، على نحو ما سيبيّن البحث لاحقاً. ومن هذه الحروف "بل" العاطفة بين المفردات والجمل، وسيتجاوز البحث عطف المفردات؛ فذاك مبحثه نحو الجملة، ليقصد إلى بيان عطفها بين الجمل.

وقد ذكر فريق من النحاة القدماء أنّ حرف العطف "بل" العاطف بين الجمل يكون أحياناً حرف ابتداء، وقادهم ذلك إلى القول بأنّ ما قبله منفصل في معناه عمّا بعده، ما يثير سؤال البحث: كيف لنصّ محكم أن تتفرّق جملة وتغيب دلالاته الكبرى؟ وكيف لنا أن نقطع المعنى

عن الأول، كما سيظهر في هذا البحث، الأمر الذي يأباه المنهج النصي الحديث الذي يقرأ النص بوصفه كلاً موحداً لا يقبل التجزئة.

حرف العطف "بل" عند النحاة:

تقرر في الدرس النحوي (Al-Rummani, 2005, p. 71) و(Ibn Hisham, 2003, p. 236-237) (Al-Muradi, 1992, p. 130) أن "بل" عاطفة إن جاء بعدها مفرد، ولا خلاف عند النحاة في كونها عاطفة في هذه الحالة، وقد فصلوا القول فيها على حالين؛ الأول: أن يكون ما قبلها كالمسكوت عنه، وذلك حال الإيجاب، مثل: جاء الطالب بل الطالبة، أو الأمر، مثل: أين علياً بل أمه.

والثاني: تقرير ما قبلها على حالته، وجعل ضده لما بعدها، مثل: ما جاء أحمد بل خالد، ولا يكتب محمد بل أخوه، وهذا حال تقدمها نفي أو نهي؛ ف "بل" لا تنقل معنى النفي أو النهي، بل يبقى هذا المعنى للأول، وهي تنقل معنى الفعل حسب لما بعده.

فإن تلتها جملة، وهو ما يعنينا في هذا البحث، كان الإضراب على وجهين (Ibn Hisham, 2003, p. 130): إضراب إبطال؛ وفي هذا الوجه يبطل المعنى السابق لها ويثبت المعنى لما بعدها، والأمثلة الآتية توضح المقصود من هذا الوجه من العطف:

1. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ (آل عمران: 169).

ففي هذه الآية نهي للنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- عن أن يحسب الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، فهذا معنى أبطلته "بل" إذ جاء بعدها معنى آخر متصل بالسياق نفسه، وهو أن الشهداء أحياء عند ربهم؛ فهم ليسوا أمواتاً كما جاء في المقطع الأول من الآية، لهذا أطلقنا على هذا المعنى اصطلاح الإبطال، لأن المعنى قبلها في حكم المنسوخ، والمعنى الجديد يكون بعدها.

وفي إضراب الإبطال يكون المعنى بعد "بل" متصلاً بما قبلها، ولا يكون مقطوعاً عنه، يقول ابن مالك في شرح التسهيل في الآية السابقة: "ما بعد بل مقرر على كل حال. فإن كان قبلها نهي أو نفي، فهي بين حكمين مقررين" (Ibn Malik, 1990, p. 368)، فالحكم الأول المقرر في الآية هو النهي عن الظن بأن المقتول في سبيل الله ميت، وهذا كان قبل "بل"، والحكم الثاني المقرر هو الاعتقاد بأن المقتول في سبيل الله حي عند ربه. وهذا كان بعد "بل"، ف"بل" في الآية ربطت ما بعدها بما قبلها وأبقت معنى العطف قائماً، وبالتالي، لا مشكلة نصية تنجم عن قولنا إن العطف للإبطال؛ لأن معنى الإبطال يقتضي اتصال ما بعد "بل" بما قبلها، ما يبقى النص متسقاً مترابطاً.

2. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (سورة الأنبياء 26).

في هذه الآية جاءت "بل" رابطة ما بعدها بما قبلها بصورة ظاهرة، إذ أبطلت ادعاء من زعموا أن لله ولداً من الملائكة، فنزه الله نفسه عن

العامل في المعطوف، وهذا التسلط من العامل إلى المعمول يؤدي إلى ربطه به معنى ومبنى، سواء أكان العطف بين المفردات أم بين الجمل. ولا يخفى عن الدارسين أن "الغرض من عطف الجمل ربط بعضها ببعض، واتصالها، والإيدان بأن المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية من الأولى، والأخذ في جملة أخرى ليست من الأولى في شيء" (Ibn Hisham, 2001, 2/278)، فهو يؤدي إلى وظيفة التماسك على سبيل الجمل، وصولاً إلى النص كله.

وتتحقق وظيفة التماسك في حروف العطف جميعها؛ فهي وظيفة نصية بارزة ليس لنا الميل عنها وإغفالها، وإن كان ظاهر النص لا يبرزها في بعض الحروف، ولكل حرف من حروف العطف معنى آخر أو أكثر، مثل: الترتيب والتعقيب المتحققين بالفاء، والترتيب مع المهلة المتحققين بـ "ثم"، والنفي المتحقق بـ "لا" وغيرها من الوظائف. ولا يخفى أن وظيفة الاتساق المتحققة من حروف العطف هي وظيفة شكلية تظهر في الجمع بين اللاحق لحرف العطف والسابق له، دون النظر في العلاقة المعنوية بين الجملتين.

وقد يكتفي بعض المختصين بالحكم السريع على العلاقة بين الجمل، أو ما يطلق عليه العلاقة الاتساقية، ويشكل تصوّره ليحكم حكماً سطحياً متجاوزاً البعد الثاني في النص، وقد أشار الجرجاني إلى أن ثم طائفة من الناس يكتفون بالحكم على ظاهر النص، ولا يتأولون المعنى أو يبحثون في دلالاته، يقول: "وقد قنع الناس فيه بأن يقولوا إذا رأوا جملة قد ترك فيها العطف: إن الكلام قد استوفى وقطع عما قبله، لا تطلب أنفسهم منه زيادة على ذلك. ولقد غفلوا غفلة شديدة" (Al-Jurjani, 1992, p. 231)، فقد وصف بالغفلة من ينفي اتصال الجمل ببعضها دونما حروف العطف، فكيف بالجمال المتعاطفة، وفيها عنصر شكلي؟ وهو الذي أشار إلى أن البلاغة: "معرفة الفصل من الوصل؛ ذاك لغموضه ودقة مسلكه" (Al-Jurjani, 1992, p. 2).

فحروف العطف لها بعد أول، وهو ضمّ الجملتين بعد الحرف وقبله، وبعد ثان، يحمل معنى خاصاً بكل حرف، وقد نفى النحاة البعد الثاني لحرف العطف "بل" سؤال هذا البحث، في بعض السياقات، ونصوا أنه حرف ابتداء يؤسس معنى جديداً مستقلاً عن سابقه، ما يأباه النص ونظرياته التي تقرأ النص بوصفه وحدة متصلة، حتى إننا نجد كثيراً من المفسرين يخالفون النحاة بمذهبهم في "بل"، دون أن يشيروا لذلك صراحة على نحو ما سيفصل هذا البحث.

وليست الفكرة في هذا البحث أن ننفي عن النحاة قولهم إن "بل" لا تعطف بين الجمل، فقد ذكر معنى العطف غير نحوي، يقول المالقي معلّقاً على قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُورُوا عَذَابٌ﴾ (ص: 8): "فهذه تعطف جملة على جملة، والإضراب لازم لها على كل حال" (Al-Malqi, 1955)، لكنهم ينفون اتصال المعنى بين ما بعد "بل" وبين ما قبلها؛ فهي عندهم في كثير من السياقات تقيّد الانتقال، أي أنها تؤسس لمعنى جديد منقطع

وقد أشار الزجّاجي لمجيء "بل" بهذا المعنى إذ يقول: "وتكون لترك شيء من الكلام وأخذ في غيره، وهي في القرآن بهذا المعنى كثير، قال الله تعالى حكاية عن المشركين: ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾، فترك وأخذ ببل في كلام آخر (Al-Zajjaji, 1986, pp. 14-15).

نحن نرى بعض النحاة في "بل" العاطفة بين الجمل يلغون معنى العطف تماماً، ويجعلونها ابتدائية دون أن يلتفتوا إلى معنى العطف الذي تؤدّيه "بل" في السياقات. وهم واعون تمام الوعي أنها تبدأ معنى جديداً ليس له ارتباط بالمعنى الأول، يقول الهروي مُعلّقاً على "بل" في قول الشاعر:

"بل ما عزّوك في شمسٍ مُتوجّةٍ يكاد يهلك من تبدو له فرقا والشاعر إذا قال بل، لم يرد أنّ ما تكلم به قبل باطل، وإنما يريد أنّه قد تمّ، وأخذ في غيره، كما تقول: دغ ذا وأترك ذا، وما أشبه ذلك، عند تمام ما تتكلم به والانتقال إلى غيره" (Al-Harawi, 1993, p. 222-223).

وهذا المعنى أثبتّه ابن مالك في شرح الكافية إذ يقول: "فإن كان الواقع بعدها جملة فهي للتنبيه على انتهاء غرض، واستئناف غيره، ولا يكون في القرآن إلا على هذا الوجه" (Ibn Malik, 1982, p. 3-1233)، فابن مالك يقطع بأنّها في القرآن لا تكون إلا انتقالية، ما ياباه كثير من النحاة، ويرفضه المنهج النصّي، فالصحيح، عند النحاة، أنّ لها، على الأقل، معنى آخر هو الإبطال، كما قدّمنا في الحديث عن "بل" العاطفة بين الجمل.

وذكر بعض النحاة أنّ "بل" في بعض السياقات تكون بمعنى ربّ فتجرّ ما بعدها، يقول الهروي في الأزهية: "فتكون بمعنى ربّ فتخفض ما بعدها، كقولك: بل بلد دخلته، تريد: بل ربّ بلد دخلته. قال أبو النجم: بل منهل ناء من الغياض" (Al-Harawi, 1993, p. 222).

والصحيح في "بل" في هذه السياقات أنّها ليست حرف جرّ، على الأقلّ، وقد قرّر عدد من النحاة أنّها ابتدائية (Ibn Hisham, 2003, p. 130) و (Al-Muradi, 1992, p. 237).

وإذا تابعنا القائلين بهذا المعنى، من كون "بل" تقيد الانتقال حسب، قسمنا عرى النص وأقرّرنا أنّ ما بعد "بل" معنى آخر مستقلّ عما قبله، وألغينا الوظيفة النصّية لحرف العطف "بل" إذا حكمنا حكم الظاهر عليه.

"بل" بين النحاة والمفسرين:

سنعرض في الآتي مجموعة من الأمثلة القرآنية على "بل"، التي وصفها النحاة بأنّها تقيد الانتقال، وسناقش كلّ مثال على حدة، مستعرضين ما قاله النحاة والمفسرون فيها، على أنّنا نلتزم منهج الإقلال في النقل لا الإكثار؛ فالغاية إيضاح الفكرة حسب.

هذه الفرية، ثمّ أخبر أنّ الملائكة عبادٌ مكرمون ليس غير، وبهذا المعنى تبقى الوظيفة النصّية لـ "بل" متحقّقة، وهي الجمع والضمّ، وظاهر الآية يخبر بذلك.

3. قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كِرْهُونَ﴾ (المؤمنون 70).

في هذه الآية جاءت "بل" رابطة ما بعدها بما قبلها على سبيل العطف بين الجمل أيضاً، فقد أبطلت "بل" المعنى السابق لها، وهو ادّعاء الكفار أنّ النبي -عليه الصلاة والسلام- مجنون، ثمّ أخبر سبحانه أنّه إنّما جاءهم بالحق، فأبقت "بل" المعنى متّصلاً بصورة ظاهرة بين ما قبلها وما بعدها. ولا يخفى أنّ الضمير المتّصل في: "به"، والمستتر في: "جاءهم" يربطان الجملتين لأنّها يحيلان إلى مرجعية واحدة هي النبي عليه الصلاة والسلام؛ فالمحال إليه رابط شكلي بارز في أيّ نصّ يكون فيه؛ لأنّ العنصر الإحالي سيّصل به، ما يجعل الجمل تنتمي إلى وجهة واحدة.

4. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: 11).

في هذه الآية جاءت "بل" عاطفة ما بعدها على ما قبلها على سبيل عطف الإبطال؛ فما قبل "بل" نهى عن أن نحسب الإفك شراً لنا، وبعد "بل" إقرار بأنّ في الإفك خيراً لنا. فالمعنى الثاني أبطل المعنى الأول. "وجه كونه خيراً لهم أنّه يحصل لهم به الثواب العظيم، مع بيان براءة أمّ المؤمنين وصيرورة قصّتها هذه شرعاً عامّاً" (Al-Shawkani, 2003, pp. 4-16).

وآية القول في هذه الآيات أنّ العطف فيها كان على سبيل الإضراب الإبطالي، وفي هذا النوع من الإضراب يكون ما بعد "بل" متّصلاً بما قبلها؛ فهي على هذا المعنى رابطة ما بعدها بما قبلها في ظاهر النص، ولا تحتاج تأويل محذوف قبل "بل"، ليسوغ اتصال ما بعدها بما قبلها. ولا نجد خلافاً بين النحاة والمفسرين في هذا النوع من العطف؛ لأنّ ما بعد "بل" وما قبلها في هذا النوع ينتمي إلى معنى عامّ واحد ظاهر، كما بيّنا في الأمثلة السابقة، ف"بل" في السياقات السابقة حرف عطف بين الجمل.

أمّا الوجه الآخر من العطف بين الجمل فهو إضراب الانتقال؛ وهو الذي يقطع بـ "بل" المعنى؛ فالمعنى قبل "بل" لا يبطل، بل يبقى على حاله، ويكون ما بعدها معنى آخر مستقلّاً عن سابقه، ومثاله قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَّى﴾ (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (150) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (الأعلى: 14-15)، و"بل" في هذا السياق ونحوه حرف ابتداء؛ لأنّها تؤسّس لمعنى جديد.

و"بل" التي عليها مدار هذا البحث، التي تجيب عن سؤاله، هي التي قرّر النحاة أنّها تقيد إضراب الانتقال، أي أنّ ما بعدها معنى جديد مستقلّ عما قبلها، وهي حرف ابتداء لا عطف.

1. قال الله تعالى في سورة "ص": ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (2)﴾:

بدأت الآيات السابقة بحرف من الحروف المقطعة (على خلاف واسع في ذلك) في القرآن وهو: ص، ثم تلاه حرف قسم ومقسم عليه وصفة له، وهي: والقرآن ذي الذكر، ثم جاء الحرف "بل" وما بعده، دون أن يكون ثمة إشارة ظاهرة إلى جواب القسم، حتى يتم ظاهر المعنى قبل "بل"، فالمعنى، في ظاهره، مقطوع، وبالتالي لا يستقيم أن تكون "بل" عاطفة والمعنى غير مكتمل، لأن "بل" في هذا السياق جاءت بين جملتين، ومعلوم في كلامنا أن الجملة يجب أن يكتمل معناها لتحقيق وظيفتها النصية ثم التواصلية، ما ألجأ بعضاً من النحاة إلى البحث عن جواب القسم في السورة؛ لأن القسم لا بد له من جواب، حتى جعل بعض النحاة جواب القسم في هذا الموضع بعيداً جداً، فالقسم في قوله تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1) جوابه: "إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (64)﴾ كما ذكر الزجاج في معاني القرآن (، Al-Zajjaj, 1988, 4/319)، فهل يعقل أن يقع الجواب على بعد (63) آية من القسم؟ وكيف لقارئ القرآن أن يتأول المعنى في بداية السورة قبل أن يصل إلى الآية (64)؟

وقد قاد هذا بعض اللغويين إلى تقدير معاني أخرى لـ "بل" فزاراً من تأويلات بعيدة تقتضيها الصناعة النحوية؛ نقل ابن فارس في الصحابي أن "بل" في قوله تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (2)﴾ (سورة ص) معناها: إن، وعلل ذلك بأن القسم لا بد له من جواب (Ibn Faris, 209)، ومثله قال الثعالبي (Al-Tha'alibi, 2002, 250)، فلأن القسم في سنن كلامنا يتطلب جواباً، كان لا بد من وجوده في السياق القرآني السابق، ولأن المعنى الظاهر لـ "بل" في الآيات لا يفهم منه العطف، لجأ ابن فارس إلى تأويل معنى "بل"، وافترض أنها بمعنى "إن"، ومعلوم أن "إن" تبدأ بها الجمل، فلا شيء يمنع أن تتصدر جملة جواب القسم.

وحتى لا يقع بعض النحاة في فوضى البحث عن جواب القسم، كان لا بد لهم أن يقطعوا "بل" عن العطف؛ لأن الجملة قبلها غير تامة كما أسلفنا، يقول الزجاجي في "بل": "وتكون لترك شيء من الكلام وأخذ في غيره، وهي في القرآن بهذا المعنى كثير، قال الله تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (2)﴾، فترك الأول وأخذ بـ "بل" في كلام ثانٍ (Al-Zajjaj, 1986, p. 15).

ويقول الهروي معلقاً على "بل" في الآيات السابقة: "وتكون لترك كلام وأخذ في غيره، ويقال للإضراب عن الأول. وهي في القرآن بهذا المعنى كثير. قال الله تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (2)﴾، فترك الكلام الأول، وأخذ بـ "بل" في كلام ثانٍ (Al-Harawi, 1993, p. 220).

أما المفسرون فنجدهم يقدرون محذوفاً قبل "بل"، حتى يبقى الكلام متصلاً لا انقطاع فيه، وتبقى "بل" على هذه الحال للإضراب الإبطالي،

عاطفة ما بعدها على ما قبلها، وليس المهم هنا كون "بل" عاطفة كما تقتضي الصناعة النحوية، بقدر كون الكلام متصلاً معناه، لا أن نبدأ نصاً، ثم نقطعه لنبدأ معنى جديداً قبل أن يستقيم لنا المعنى الأول إلا بعد تأويلات بعيدة.

ونذكر هنا جملة مما قاله المفسرون في سورة "ص"، يقول الإمام الطبري: "والصواب من القول في ذلك عندي، القول الذي قاله قتادة، وأن قوله (بَلِ) لما دلت على التكذيب وحلت محل الجواب استغني بها من الجواب، إذ عرف المعنى، فمعنى الكلام إذا كان ذلك كذلك: (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) ما الأمر كما يقول هؤلاء الكافرون: بل هم في عزة وشقاق" (Al-Tabari, 2001, p. 11-20)، على أن الطبري ذكر في عبارته السابقة أن "بل" حلت محل الجواب، لكنه عاد ليؤول محذوفاً بقوله في النص نفسه: ما الأمر كما يقول هؤلاء الكفار، بل هم في عزة وشقاق.

وقد كفانا عبد القاهر الجرجاني التأويلات الطويلة بقوله: "وقيل: جواب القسم مضمر، والقرآن ذي الذكر إنك لناصر" (Al-Jurjani, 2008, p. 4).

ومن أجود ما قيل في آيات سورة "ص" ما ذكره الزمخشري في قوله: "فإن قلت: قوله: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (2)﴾، كلام ظاهره متنافر غير منتظم، فما وجه انتظامه؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبية على الإعجاز كما مر في أول الكتاب، ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه، كأنه قال: {والقرآن ذي الذكر} إنه لكلام معجز. والثاني: أن يكون {ص} خير مبتدأ محذوف، على أنها اسم للسورة، كأنه قال: هذه ص، يعني: هذه السورة التي أعجزت العرب، والقرآن ذي الذكر، كما تقول: هذا حاتم والله، تريد: هذا هو المشهور بالسوء والله؛ وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال: أقسمت بص والقرآن ذي الذكر إنه لمعجز، ثم قال: بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الإذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله" (Al-Zamakhshari, 1998, p. 5/240)، ومعنى الإضراب حاصل في المعنيين السابقين عند الزمخشري، واللافت عنده ما ورد في صدر كلامه من أن ظاهر الكلام في مطلع السورة غير منتظم، وهذا هو سؤال بحثنا.

ومثله ذكر الطيبي في حاشيته على الكشاف في قوله: "كأنه قال: أقسمت بـ {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} إنه لمعجز، ثم قال: {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ} واستكبار عن الإذعان لذلك والاعتراف بالحق" (Al-Tibi, 2013, p. 13/228).

ولعل أجود ما قيل في "بل" عند المفسرين قالة الشنقيطي في أضواء البيان، إذ استبعد كثيراً من تأويلات النحاة في جواب القسم، حيث قال: "الإضراب بقوله: "بل" دليل واضح على المقسم عليه المحذوف" (Al-Shanqiti, 2005, p. 8/7). فهو يظهر معيارية لافتة؛ فـ "بل" في

أما المفسرون فنجد عند بعضهم أقوالاً متباينة في ذلك؛ فقد ذكر مقاتل بن سليمان في تفسيره أن "ق" تعني جبلاً، و"القرآن المجيد" يعني: والقرآن الكريم، فأقسم الله بهما، ثم استأنف: "بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم"، يعني: محمداً (Moqatil, 2002, p. 4/109)، وهو بهذا القول ينفي أن تكون "بل" عاطفة لأنه ذكر لفظ "استأنف"، ما يدل على أنها تبدأ معنى جديداً.

ورجح الطبري أن يكون ثم محذوفاً في السياق، تقديره: لتبعثن بعد الموت، فقالوا: إذا كنا تراباً بُعثنا؟ (Al-Tabari, 2001, p. 22/327)، ومثله قدر الثعلبي في تفسيره: "ق والقرآن المجيد لتبعثن بعد الموت، فعجبوا وقالوا إذا متنا وكنا تراباً" (Al-Thalabi, 2015, 24/424).

وذكر أبو القاسم النيسابوري في تفسيره أن جواب القسم محذوف، وتقديره: إنك رسول الله، بدليل قوله تعالى: ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر﴾ (Al-Nisaburi, 1998, p. 3/1351).

وذكر الرازي سؤالاً لطيفاً في هذا الباب، وهو: "فإن قيل فما الحكمة في هذا الاختصار العظيم، في موضع واحد حذفت المُقسم عليه والمضرب عنه، وأتى بأمر لا يُفهم إلا بعد الفكر العظيم ولا يفهم مع الفكر إلا بالتوقيف العزيز؟ فنقول إنما حذفت المُقسم عليه لأن التذكير في بعض المواضع يُفهم منه ظُهور لا يُفهم من الذكر" (Al-Razi, 123/28, 1999)، وهي عبارة صريحة على أن "بل" عاطفة، وأن جواب القسم المحذوف مضرب عنه، وبالتالي، يبقى النص متصلاً لا انقطاع فيه.

وذكر الشوكاني أن جواب القسم "محذوف" وتقديره: أنزلناه إليك لتُنذر، كأنه قيل ق والقرآن المجيد أنزلناه إليك لتُنذر به الناس" (Al-Shawkani, 2003, p. 5/86).

وفي قراءة نصية عجلت نسأله: ما الذي أثار عجب الكافرين في مطلع السورة؟ الجواب: أن جاءهم منذر منهم، وإذا، ما سبق "بل" في ظاهره لا يدل على عجب، والذي أثار عجبهم محذوف من ظاهر السياق معلوم من تأوله، والدال عليه ما بعده، في قوله تعالى: ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر﴾، ويكون تأويل المحذوف: إن محمداً رسول الله إليهم ومنذر لهم، فهو الأمر الذي أثار عجبهم وأنكروه. وعلى هذا التأويل "بل" عاطفة للإضراب الإبطالي لا الانتقالي.

وحذف جواب القسم في مطلع سورتي "ص" و"ق" ليس غريباً بلاغياً خصوصاً أن ثمة دليلاً في النص بعد "بل" على المحذوف، بل لو ذكر الجواب وكان ما بعده دالاً عليه لاختلت بلاغة النص.

3. يقول الله تعالى في سورة الأعلى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَ (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (15) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17)﴾.

ذكر ابن هشام في مغني اللبيب أن "بل" في الآيات السابقة تفيد الانتقال من غرض إلى آخر، ...، وهي ... حرف ابتداء، لا عاطفة،

عُرف اللغويين حرف الإضراب للإبطال، فكيف نخرجها عن أصلها ونقول إنها ابتدائية؟ وتأويله للمحذوف: "ما الأمر كما يقول الذين كفروا، بل الذين كفروا في عزة" (Al-Shanqiti, 2005, p. 8/7).

وأخراً، في قراءة نصية عجلت نسأله: لم الذين كفروا في عزة وشقاق في مطلع السورة؟ بل، ما الذي جعلهم على هذه الحال في الآية الثانية، وليس في الآيات قبلها ما يدعوهم لذلك؟ الجواب: ما الأمر كما يقول الكفار من إنكارهم لبعثة محمد عليه الصلاة والسلام، وإذا، ما سبق "بل" في ظاهره لا يجعل الكفار في عزة عن عدم الإيمان به وفي معاداة للنبي عليه الصلاة والسلام، إنما الذي جعلهم بهذه العزة والأففة عن الإذعان للحق محذوف من السياق معلوم من ظاهره، والدال عليه ما بعده، وهو أن محمداً رسول الله إليهم ومنذراً لهم، وهو الأمر الذي جعلهم في عزة وشقاق.

وتكون "بل" بعد هذا كله حرف عطف يفيد إضراب الإبطال والتأويل: ص والقرآن ذي الذكر، ما الأمر كما يقول هؤلاء الكفار، بل الذين كفروا في عزة وشقاق.

2. قوله تعالى في سورة ﴿ق: ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (1) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (2)﴾:

بدأت سورة "ق" بالطريقة نفسها التي بدأت فيها سورة "ص"، وما قيل فيهما متقارب إلى حد بعيد؛ فالقسم ليس له جواب ظاهر، والآية الأولى مقطوعة عما بعدها عند النحاة على اعتبار أن "بل" تفيد الانتقال، والسؤال الذي يطرحه البحث: كيف لنا أن نقطع المعنى والسورة في أولها؟ ثم نبحث عن جواب قسم بعيد التأويل.

ونبدأ عند النحاة، قال ابن مالك في شرح الكافية: "وأما "بل" فلا إضراب، وحالها فيه مختلف، فإن كان الواقع بعدها جملة فهي للتنبيه على انتهاء غرض واستئناف غيره، ولا تكون في القرآن إلا على هذا الوجه" (Ibn Malik, 1982, p. 3/1233)، فقد جعل "بل" الواقعة بين الجمل في كل سياقات القرآن انتقالية مقطوعة عما قبلها.

وذكر المالقي أن "بل": "حرف ابتداء وذلك إذا لم يقع تشريك بين ما بعدها وما قبلها، وتكون عاطفة جملة على جملة مضرب عن الأولى، نحو... ق والقرآن المجيد (1) بل عجبوا" (Al-Malqi, 155). ف"بل" السابقة تقطع ما بعدها عما قبلها وتؤسس لمعنى جديد مستقل عن السياق قبله.

و"بل" على هذا الاعتبار حرف ابتداء، وجواب القسم ليس محذوفاً، إنما موجود في السورة في آيات متأخرة، إذ لو كان محذوفاً لقد رناه قبل ب"بل"، ولأصبحت "بل" عاطفة ما بعدها على ما قبلها. على أننا لا نلغي أن بعضاً من النحاة ذكر أن جواب القسم محذوف، والتقدير: "إنك لمنذر" (Hasan, p. 2/504) و (Salih, 1997, p. 11/185)، وعلى هذا التأويل يكون ما بعد "بل" متصلاً بما قبلها على سبيل النص، معطوفاً على الجملة المحذوفة على سبيل الصناعة النحوية.

ذكر النحاة "بل" في الآيات السابقة بصورة صريحة في مواضع متعددة، وكانت عندهم تفيد الانتقال إلى معنى آخر، فقد ذكر أبو حيان الأندلسي أنها تكون "على جهة الترك من غير إبطال كقوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (62) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا، ولا تكون إذ ذاك عاطفة" (Al-Andalusi, 1998, p. 4/1995).

وذكر المرادي أن "بل" الواقع بعدها جملة تفيد الترك، للانتقال، فهو يلغي ما قبلها ويهمل معناه تمامًا في الآيات السابقة، حتى إنه يصرح بانتفاء معنى الإبطال فيها (Al-Muradi, 1992, p. 235). وقال فيها ناظر الجيش: "ولا تكون إذ ذاك عاطفة؛ لأن المتكلم أضرب عما قبلها واستأنف ما بعدها فصار ما قبلها إلى المعنى كأنه لم يُذكر، وكأنها هي أول الكلام الذي قصد إثباته" (Nader al-Jaish, 2007, p. 7/3486).

فمن ذكرها من النحاة في الآيات السابقة ذكر معنى الانتقال حسب، لأن الآيات قبلها تتحدث عن أهل الجنة، ثم جاءت "بل" وقطعت المعنى، واللافت أن الضمير المتصل في "قلوبهم" لا مرجع واضح يحيل إليه، ما يجعلنا نقف على هذه الآيات غير مرة، فكيف نحكم بانقطاع الكلام، ونبدأ كلامًا جديدًا ولا مرجع واضح للضمير؟ أما المفسرون فكان لهم غير مذهب في هذه الآيات؛ فالنسفي مثلاً ذكر أن الضمير يحيل إلى الكفرة، يقول: "بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين {وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ}، أي ولهم أعمال خبيثة متجاوزة متخطية لذلك، أي لما وصف به المؤمنون {هم لها عاملون} وعليها مقيمون لا يطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب" (Al-Nasafi, 1998, p. 2/473).

وبذلك أولها الخازن في تفسيره بقوله: "ثم ذكر الكفار فقال تعالى بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ، أي: غفلة وجهالة من هذا، يعني القرآن، وَلَهُمْ أَعْمَالٌ، أي: للكفار أعمال خبيثة من المعاصي والخطايا محكومة عليهم من دُونِ ذَلِكَ، يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله في قوله: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ" (Al-Khazen, 1994, p. 3/274).

فالنقلان السابقان يبينان أن الضمير يحيل إلى الكفار، على أن لفظ "الكفار" ليس واردًا في الآيات السابقة، لكنه مفهوم ضمناً، فلعلها إحالة خارجية. وعلى هذا المعنى، تكون "بل" عاطفة، والكلام متصل لا انقطاع فيه، و"بل" تفيد إضراب الإبطال لا الانتقال.

وثمة مذهب آخر عند المفسرين يجعل الضمير يحيل إلى فريق المؤمنين في الآيات السابقة لـ"بل"، يقول ابن عادل في تفسيره: "بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا، هو أيضاً وصف لهم بالحيرة كأنه قال: وهم مع ذلك الوجع والخوف كالمحتيرين في أن أعمالهم مقبولة أو مردودة {وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ} أي: لهم أيضاً من النوافل ووجوه البر سوى ما هم عليه، إمّا أعمالاً قد عملوها في الماضي، أو سيعملونها في

(Ibn Hisham, 2003, p. 130) وذكر الأشموني أنها في الآيات السابقة "على جهة الانتقال من غرض إلى آخر" (Al-Ashmouni, 1998, p. 2/390).

أما المفسرون فيأبؤون انتقال المعنى في الآيات السابقة، فـ"بل" تفيد إضراب الإبطال عندهم لا الانتقال؛ ففيها كما قال أبو السعود: "إضراب عن مقدّر ينساق إليه الكلام كأنه قيل إثر بيان ما يؤدي إلى الفلاح، [وتقديره أنتم] لا تفعلون ذلك، بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها" (Abu Al-Saud, 9/146)، فقوله: "إضراب عن مقدّر" إقرار باتصال ما بعد "بل" بما قبلها، خصوصاً أنه قدّر قبل "بل": لا تفعلون ذلك، بل تؤثرون الحياة الدنيا، وقد ذكر هذا التعبير غير واحد من المفسرين مثل: (Al-Istanbuli, p. 10/410) (Al-Alusi, 1994, p. 15/322) (Shawkani, 5/517).

ونجد الطاهر بن عاشور يبسط القول في هذه المسألة بصورة حسنة في قوله: "وَيُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ الْإِضْرَابُ إِطْلَالاً لِّمَا تَصْمِنُهُ قَوْلُهُ: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى، مَنْ التَّغَرَّضَ لِلَّذِينَ شَقُّوا بِتَخْرِيبِهِمْ عَلَى طَلَبِ الْفَلَاحِ لِأَنْفُسِهِمْ لِيَلْتَجِعُوا بِالَّذِينَ يَخْشَوْنَ وَيَتَزَكَّوْنَ لِيَبْطُلَ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ تَحْصِيلُ الْفَلَاحِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ بَعْدَ عَنْ أَنْ يُظَلَّ بِهِمُ التَّنَافُسُ فِي طَلَبِ الْفَلَاحِ لِأَنَّهُمْ يُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَالْمَعْنَى: بَلْ أَنْتُمْ تُؤَثِّرُونَ مَنَافِعَ الدُّنْيَا عَلَى حُظُوظِ الْآخِرَةِ، وَهَذَا كَمَا يَقُولُ النَّاصِحُ شَخْصاً يَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَنْتَصِحُ: «لَقَدْ نَصَحْتُكَ وَمَا أَطْلُكَ تَعْلُ»" (Ibn Ashour, 1984, p. 30/289)، وهي إشارة صريحة إلى إضراب الإبطال تدل على وعي ابن عاشور بهذه المسألة من خلال تأويله محذوفاً أبطلته بل العاطفة.

وفي نظرة نصية في الآيات السابقة نجدها تعرض لطريقين واضحين للإنسان في دنياه، وتتوسط "بل" هذين الطريقين؛ فالآيات قبل "بل" تتحدث عن فلاح الإنسان إن هو طهر نفسه من المعاصي والآثام، وبقي محافظاً على ذكره ربّه وصلواته، وهي أمور فيها إثارة للآخرة على الأولى، أما ما بعد "بل"، فتتحدث الآيات عن الفريق الثاني الذي يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة، والعطف بين الجملتين واضح، وبالتالي، ما بعد "بل" متصل بما قبلها وليس مقطوعاً عنها، والذي يؤكد عطفها ما بعدها على ما قبلها، أن ما بعدها حديث عن الجزاء، وهو الجنة، وهي نتيجة ما قبلها من تطهير النفس وذكر الله والصلاة.

أما على سبيل الصناعة النحوية، فإن "تؤثرون الحياة الدنيا" معطوفة على المعنى المقدّر قبلها الذي ذكر سابقاً وهو: "لا تفعلون ذلك"، وبهذا يستقيم العطف بـ"بل" في المبنى وفي المعنى.

4. يقول الله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (60) وَأُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا شَاقِقُونَ (61) وَلَا تَكُلِفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (62) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا غَمْلُونَ (63)

نتائج البحث:

1. إِنْ النحاة أجمعوا أو كادوا يجمعون على أن "بل" العاطفة بين الجمل تعيد الإضراب الانتقالي، وبالتالي تقطع ما بعدها عما قبلها، وتكون حينئذٍ ابتدائية؛ لأنها تؤسس معنى جديداً.
2. كان المفسرون أكثر دقة من النحاة في مذاهبهم في "بل"، فمنهم من قدر محذوفاً وعدّ النصّ متصلاً لا قطع فيه، وهم الأكثر، ومنهم من تابع النحاة في كون "بل" ابتدائية.
3. يرى البحث أن "بل" حرف عطف في السياقات جميعها، وهو لا يفيد إلا الإضراب الإبطالي، ولولا أن علماء البلاغة قيدوا كمال الاتصال بالواو وحدها دون حروف العطف، لقلنا إن هذا الأمثلة جميعها هي من هذا الباب ومثال له.
4. لا يقول هذا البحث إن النحاة مخطئون في مذاهبهم؛ بل يرى أنهم يصدرن عن مدارس متنوعة في فهم النصّ القرآني؛ فأراؤهم لا تنفي نصية النصّ ولا تقطع أواصره. ونحن هنا لا ننتصر للمفسرين على النحاة، فالمتقدم فيه مذاهب مختلفة تبين اختلاف أصحابها على تنوعهم بين نحاة ومفسرين.

References:

- Al-Istanbuli, Abu Al-Fida, Ruh Al-Bayan, Beirut, Dar Al-Fikr.
- Al-Ashmouni, Nour Al-Din, (1998). Sharh Al-Ashmouni 'ala Alfīyat Ibn Malik, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
- Al-Andalusi, Abu Hayyan, (1998). Irtishaf Al-Darab min Lisan Al-Arab, verified by: Rajab Othman, Reviewed by: Ramadan Abdel Tawab, 1st Edition, Cairo, Al-Khanji Library.
- Al-Alusi, Shihab Al-Din, (1994). Ruh Al-Maani, varried by: Ali Attia, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
- Al-Thaalibi, Abu Mansour, (2002). Fiqh al-Lughah wa-Sirr al-Arabiyah, verified by: Abdul Razzaq Al-Mahdi, 1st Edition, Dar Ihya al-Turath al-Arabi
- Al-Thalabi, Abu Ishaq, (2015). Kashf wa-al-bayān 'an tafsīr al-Qur'ān, verified by a number of researchers, 1st Edition, Jeddah, Dar al-Tafseer.
- Al-Jurjani, Abdel-Qaher, (2008). Daraj Al-Durar in the Interpretation of Verses and Surahs, verified by: Walid Al-Hussein, 1st ed., Britain, Al-Hikma magazine.
- Al-Jurjani, Abdel-Qaher, (1992). Dalā'il al-I'jāz, Varified by: Mahmoud Shaker, 3rd Edition, Cairo, Al-Madani Press.

المستقبل، ثم إنه تعالى رجع بقوله: {حتى إذا أخذنا مُترفيهم} إلى وصف الكفار وهذا قول قتادة؟ (Ibn Adel, 1998, 4/236).
ثم ذكر نقلاً دقيقاً وهو: "قال ابن الخطيب: وقول أبي مسلم أولى، لأنه إذا أمكن ردّ الكلام إلى ما يتصل به كان أولى من رده إلى ما بعد خصوصاً، وقد يرغب المرء في فعل الخير بأن يذكر أن أعمالهم محفوظة، كما يحذر بذلك من الشر، وقد يُوصف المرء لشدة فكره في أمر آخرته بأن قلبه في غمرة، ويراد أنه قد استولى عليه الفكر في قبوله أو رده، وفي أنه هل أدى عمله كما يجب أو قصر؟" Ibn Adel, 1998, p. 4/236.

والى المذهب نفسه أشار النيسابوري بقوله: "وثانيهما وهو اختيار أبي مسلم أن هذه الآيات من صفات المشفقين، كأنه سبحانه قال بعد وصفهم: وَلَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، ونهايته ما أتى به هؤلاء. وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَحْفَظُ أَعْمَالَهُمْ. بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا الَّذِي وَصَفْنَاهُمْ بِهِ أَهْوَ مَقْبُولٍ عِنْدَ اللَّهِ أَمْ مَرْدُودٌ؟ وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ الَّذِي وَصَفَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ، وهي النوافل السرية والأعمال القلبية" (Al-Nisaburi, 1995, p. 5/128).

وعلى المذهب الثاني نجد "بل" متصلة بما قبلها غير مقطوعة عنه كما تقدم، فما قبلها حديث عن المؤمنين وعن صفاتهم، وما بعدها متصل بالحديث نفسه، وأبرز دليل على ذلك، الضمير في "قلوبهم" فهو يحيل إلى المؤمنين في الآيات قبله، وبالتالي، "بل" لا تؤسس معنى جديداً مستقلاً عن سابقه، ولأن في الآيات السابقة مذهبين مختلفين عند المفسرين، أخرجنا عرضها في هذا البحث، وكان حقها التقديم تبعاً لترتيب التلاوة.

الخاتمة:

يظهر لنا من خلال المعالجات السابقة أن "بل" تعيد إضراب الإبطال، أي أن معنى العطف متحقق فيها، وهي تجعل النصّ متصلاً لا قطع فيه؛ فالأمر أبعد من كون "بل" عاطفة، فابن هشام مثلاً ألمح في مغني اللبيب إلى معنى العطف في هذه السياقات عند فريق من النحاة دون أن يصرح، يقول في معرض حديثه عن "بل" العاطفة بين الجمل: "وهي في ذلك كله حرف ابتداء، لا عاطفة، على الصحيح" (Ibn Hisham, 2003, p. 130) وقال السيوطي في الهمع: "ولَيْسَتْ جِيئَظْ عاطفة على الصَّحِيح، بل حرف ابْتِدَاء" (Al-Suyuti, 3/212)، فعبارتهما: "على الصحيح" تشير ضمناً إلى وجود مذهبين في المسألة، بينا أحدهما، وهو أن تكون "بل" ابتدائية، وهو الصحيح عندهما، والثاني: أن تكون "بل" عاطفة، وهو مذهب قليل من النحاة. وعلى المتأمل في "بل" العاطفة بين الجمل أن يتجاوز البعد الظاهر فيها، وأن يتلمس العلاقة المعنوية التي تنظم النصّ وتسلسل جمليه، وتجعلها متصلة ببؤرة واحدة، ما يطلق عليه عند اللسانيين الانسجام (coherence) (Khattabi, 1991, p. 5-6).

- Al-Malqi, Ahmed Abdel Nour, Raṣf al-Mabānī fī Sharḥ Hurūf al-Ma'ānī, verified by: Ahmed Al-Kharat, Damascus, Arabic Language Academy.
- Ibn Malik, Jamal Al-Din, (1990), Sharh Tasheel Al-Fawa'id, verified by: Abdel Rahman Alsayed and Mohammed Badawi, Dar hajar for printing and publishing.
- Ibn Malik, Jamal Al-Din, (1982), Sharh al-Kafiyah ash-Shafiyah, verified by: Abdel Moneim Haridi, 1st Edition, Makkah Al-Mukarramah, Umm Al-Qura University.
- Al-Muradi, Al-Hassan bin Qassem, (1992). Janā al-dānī fī ḥurūf al-ma'ānī, achieved by: Fakhr Al-Din Qabawah and Muhammad Fadel, 1st edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
- Moqatil, Abu Al-Hassan, (2002). Interpretation of Moqatil bin Suleiman, verified by: Abdullah Shehata, 1st edition, Beirut, Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
- Nader al-Jaish, Mohib Al-Din, (2007). Tamheed al-Qawaid bi sharh Tasheel al-Fawa'id, verified by: Ali Muhammad and others, 1st edition, Cairo, Dar Al-Salaam.
- Al-Nasafi, Abu Al-Barakat, (1998). Madarik al-Tanzil wa Haqaiq al-Tawil, verified by: Youssef Badawi, Beirut, Dar Al-Kalim Al-Tayyib.
- Al-Nisaburi, Abu Al-Hasan, (1998). Baher Al-Burhan fi Ma'ani Mushkilat al- Qur'an, varried by: Suad bint Saleh Babqi, Makkah Al-Mukarramah, Umm Al-Qura University.
- Al-Nisaburi, Nizam Al-Din, (1995). Ghara'ib al-Qur'an wa-ragha'ib al-furqan, varried by: Zakaria Omairat, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
- Al-Harawi, Ali bin Muhammad, (1993). Az-Zahiya fi Ilm al-Huruf, verified by: Abdel-Moin Al-Malouhi, 2nd Edition, Damascus, Arabic Language Academy.
- Ibn Hisham, Abu Muhammad Abdullah, (2003). Mughni al-Labib an Kutub al-A'arib, verified by: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Beirut, Al-Assrya library.
- Ibn Yaish, Abu al-Baqā' (2001). Sharh al-Mofassal, presented by: Emile Yaqoub, 1st Edition, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
- Hasan, Abbas, Al-Nahw al-Wafi, 15th edition, Dar Al Maaref.
- Al-Khazen, Abu Al-Hassan, (1994). LeBab AtTaweel Fi maani AtTanzeel, reviewd by: Muhammad Ali Shaheen, 1st edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
- Khattabi, Muhammad, (1991). Lisaniyat al-Nass, 1st Edition, Beirut, Arab Cultural Center.
- Al-Razi, Abu Abdullah, (1999). Mafāṭīḥ al-ghayb 3rd Edition, Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
- Al-Rummani, Ali bin Issa, (2005). Raṣf al-mabānī fī sharḥ ḥurūf al-ma'ānī, Varified by: Irfan Hassouna, 1st Edition, Beirut, al-Asriya Library.
- Al-Zajjaj, Abu Ishaq, (1988). Maani al Qur'an Wa I'rabuhu, 1st Edition, Beirut, Alam al-Kotob.
- Al-Zajjaji, Abu Al-Qasim, (1986). Huruf al-Ma'ani, verified by: Ali Al-Hamad, 2nd Edition, Beirut, Al-Resala Foundation.
- Al-Zamakhshari, Jarallah, (1998). Al-Kashshaf, verified by: Adel Abdel-Mawgod and Ali Ma'awd, 1st edition, Riyadh, Al-Obeikan Library.
- Abu Al-Saud, Muhammad, Interpretation of Abu Al-Saud, Beirut, Dar Ihya al-Turath al-Arabi
- Al-Suyuti, Jalal Al-Din, Ham' al-Hawam'i fi Sharh Jam' al-Jawami', verified by: Abdel-Majid Hindawi, Egypt, Al-Tawfiqia Library.
- Al-Shanqiti, Muhammad Al-Amin, (2006). Adwa Al-Bayan, Cairo, Dar Al-Hadith.
- Al-Shawkani, Muhammad bin Ali, (2003). Fath Al-Qadir, verified by: Sayed Ibrahim, Cairo, Dar Al-Hadith
- Salih, Bahjat, (1997). Al-I'rab al-mufassal li kitab Allah al-murattal, 2nd Edition, Amman, Dar Al-Fikr.
- Al-Tabari, Ibn Jarir, (2001). Jami' al-Bayan an ta'wil ay al Qur'an, varried by: Dr. Abdullah Al-Turki, 1st Edition, Dar Hajar.
- Al-Tibi, Sharaf Al-Din, (2013). Fattouh Al-Ghayb fi al-Kashaf an Qinaa al- Raib, verified by: Iyad Al-Ghouj, 1st Edition, Dubai International Prize.
- Ibn Adel, Abu Hafs, (1998). Al-Labbab fi Ulum Al-Kitab, verified by: Adel Abdel-Mawgod, 1, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
- Ibn Ashour, Al-Taher, (1984). Al-Tahrir wal Tanweer, Tunis, the Tunisian Publishing House.
- Ibn Faris, Abu Al-Hussein, Al-Sahbi, verified by: Mr. Ahmed Saqr, Cairo, Issa Al-Babi Al-Halabi Press.